بسم الله الرّحمن الرّحيم

هَذِهِ خُطْبَةٌ خَطَبَتْهَا سَيِّدَةُ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام

فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بَعْدَ رِحْلَةِ رَسُولِ‌اللَّهِ صلى الله عليه وآله

رَوَى عَبْدُاللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : ....

فَقَالَتْ (فاطِمةُ) سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَ لَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ وَ الثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا وَ سُبُوغِ آلَاءٍ أَسْدَاهَا وَ تَمَامِ مِنَنٍ أَوْلَاهَا جَمَّ عَنِ الْإِحْصَاءِ عَدَدُهَا وَ نَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا وَ تَفَاوَتَ عَنِ الْإِدْرَاكِ أَبَدُهَا وَ نَدَبَهُمْ لِاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لِاتِّصَالِهَا وَ اسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلَائِقِ بِإِجْزَالِهَا وَ ثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ كَلِمَةٌ جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَهَا. الْمُمْتَنَعُ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ وَمِنَ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ .

ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا وَأَنشَأَهَا بِلَا احْتِذَاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَهَا. كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا وَلاَ فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا إِلَّا تَثْبِيتًا لِحِكْمَتِهِ وَتَنْبِيهًا عَلَى طَاعَتِهِ وَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ وَ إِعْزَازًا لِدَعْوَتِهِ.

ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. اخْتَارَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَاهُ وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ وَبِسِتْرِ الْأَهَاوِيلِ مَصُونَةٌ وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ عِلْمًا مِنَ اللهِ تَعَالَى

YaseYasin.com

بِمَآئِلِ الْأُمُورِ وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ . ابْتَعَثَهُ اللَّهُ إِتْمَامًا لِأَمْرِهِ وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ وَإِنْفَاذًا لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ.

فَرَأَى الْأُمَمَ فِرَقًا فِي أَدْيَانِهَا عُكَّفًا عَلَى نِيرَانِهَا عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا مُنْكِرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا. فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ ظُلَمَهَا وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَهَا وَجَلَى عَنِ الْأَبصَارِ غُمَمَهَا وَ قَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَ اخْتِيَارٍ وَ رَغْبَةٍ وَ إِيْثَارٍ فَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ مِنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ قَدْ حُفَّ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ وَ رِضْوَانِ الرَّبِّ الْغَفَّارِ وَ مُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَى أَبِي نَبِيِّهِ وَ أَمِينِهِ وَ خِيَرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَ صَفِيِّهِ وَ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُه.

ثُم الْتَفَتَتْ عليها السلام إِلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَقَالَتْ:

أَنْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ وَ حَمَلَةُ دِينِهِ وَ وَحْيِهِ وَ أُمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَ بُلَغَاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ.

زَعِيمُ حَقٍّ لَهُ فِيكُمْ وَ عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ وَ بَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ ، كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ وَ الْقُرْآنُ الصَّادِقُ وَ النُّورُ السَّاطِعُ وَ الضِّيَاءُ اللَّامِعُ بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ مُنْجَلِيَةٌ ظَوَاهِرُهُ مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ اتِّبَاعُهُ مُؤَدٍّ إِلَى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ. بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللَّهِ الْمُنَوَّرَةُ وَ عَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ وَ مَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ وَ بَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَةُ وَ بَرَاهِينُهُ الْكَافِيَةُ وَ فَضَائِلُهُ الْمَنْدُوبَةُ وَ رُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ وَ شَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَة.

فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ وَ الزَّكَاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَ نَمَاءً فِي الرِّزْقِ وَ الصِّيَامَ تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ وَ الْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ وَ الْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ وَ طَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ وَ إِمَامَتَنَا أَمَاناً مِن الْفُرْقَةِ وَ الْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ وَ الصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجَابِ الْأَجْرِ وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ وَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ وِقَايَةً مِنَ السَّخَطِ وَ صِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنْسَأَةً فِي الْعُمُرِ وَ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ وَ الْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ وَ الْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ وَ تَوْفِيَةَ الْمَكَايِيلِ وَ الْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ وَ النَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ وَ اجْتِنَابَ الْقَذْفِ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ وَ

YaseYasin.com

تَرْكَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ وَ حَرَّمَ اللَّهُ الشِّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ(فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[آل‌عمران/١٠٢]) وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُ (إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ[فاطر/ ٢٨]).

ثُمَّ قَالَتْ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا:

أَيُّهَا النَّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ.

أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْوًا وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطاً وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطاً. (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ[توبه/١٢٨]).

فَإِنْ تَعْزُوهُ وَ تَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ وَ أَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ.

فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِالنِّذَارَةِ مَائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ ضَارِباً ثَبَجَهُمْ آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ يَكْسِرُ الْأَصْنَامَ وَ يَنْكُتُ الْهَامَ حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَ وَلَّوُا الدُّبُرَ حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ وَ أَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ وَ نَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ وَ خَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ وَ طَاحَ وَشِيظُ النِّفَاقِ وَ انْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَ الشِّقَاقِ وَ فُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِمَاصِ. (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ[آل‌عمران/١٠٣]) مُذْقَةَ الشَّارِبِ وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ وَقَبْسَةَ الْعَجْلَانِ وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ . تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ؛ أَذِلَّةً خَاسِئِينَ . (تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ[انفال/٢٦]) مِنْ حَوْلِكُمْ.

فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ. (كُلَّما أَوْقَدُوا نارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ[مائده/٦٤]) أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ أَوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا فَلَا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ وَ يُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ. مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللَّهِ قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّداً فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُشَمِّراً نَاصِحاً مُجِدّاً كَادِحاً . لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَ أَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ وَادِعُونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ وَ تَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ وَ تَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزَالِ وَ تَفِرُّونَ

YaseYasin.com

مِنَ الْقِتَال.

فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَ مَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، ظَهَرَتْ فِيكُمْ حَسَكَةُ النِّفَاقِ وَ سَمَلَ جِلْبَابُ الدِّينِ وَ نَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينَ وَ نَبَغَ خَامِلُ الْأَقَلِّينَ وَ هَدَرَ فَنِيقُ الْمُبْطِلِينَ فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ وَ أَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ هَاتِفاً بِكُمْ فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ وَ لِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافاً وَ أَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمْ غِضَاباً. فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ وَ وَرَدْتُمْ غَيْرَ مَشْرَبِكُم.

هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرْ ابْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ[توبه/٤٩]).

فَهَيْهَاتَ مِنْكُمْ! وَكَيْفَ بِكُمْ؟! وَ(أَنَّى تُؤفَكُونَ[انعام/٩٥]) ؟!

وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؛ أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ وَزَوَاجِرُهُ لَائِحَةٌ وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ وَقَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ. أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ؟! أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟! (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً[كهف/٥٠]) ! (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل‌عمران/٨٥]).

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُهَا وَ يُسْلَسَ قِيَادُهَا ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَهَا وَ تُهَيِّجُونَ جَمْرَتَهَا وَ تَسْتَجِيبُونَ لِهُتَافِ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ وَ إِطْفَاءِ أَنْوَارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ وَ إِهْمَالِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ . تَشْرَبُونَ حَسْواً فِي ارْتِغَاءٍ وَ تَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَ وُلْدِهِ فِي الْخُمْرَةِ وَ الضَّرَّاءِ وَ نَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى وَ وَخْزِ السِّنَانِ فِي الْحَشَا وَ أَنْتُمُ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا؟! أَ فَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[مائده/٥٠]) ؟! أَفَلَا تَعْلَمُونَ؟! بَلَى، قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! أَ أُغْلَبُ عَلَى إِرْثِي؟!

يَا بْنَ أَبِي قُحَافَةَ! أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي؟! لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً. أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ؟! إِذْ يَقُولُ: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ[نمل/١٦]). وَقَالَ فِيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، إِذْ قَالَ: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ[مريم/٥و٦]). وَقَالَ: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ[انفال/٧٥]). وَقَالَ: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ[نساء/١١]). وَقَالَ: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

YaseYasin.com

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ[بقره/١٨٠]).

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُظْوَةَ لِي وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا؟! أَفَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ أَبِي مِنْهَا ؟!

أَمْ هَلْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَهْلَ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ؟! أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟!

أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابنِ عَمِّي؟!

فَدُونَكَهَا مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً! تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ. فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ! وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ. وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ. (وَلِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ [انعام/٦٧]) وَ (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ [هود/٣٩]).

ثُم رَمَتْ بِطَرْفِهَا نَحْوَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَتْ:

يَا مَعْشَرَ النَّقِيبَةِ وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ وَحَضَنَةَ الْإِسْلَامِ!

مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلَامَتِي؟!

أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِي، يَقُولُ: الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟! سَرْعَانَ مَا أَحْدَثْتُمْ! وَعَجْلَانَ ذَا إِهَالَةً! وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أُحَاوِلُ وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأُزَاوِلُ!

أَتَقُولُونَ: مَاتَ مُحَمَّدٌ ﷺ ؟! فَخَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْنُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَاظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ وَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ. وَأَكْدَتِ الْآمَالُ وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ.

فَتِلْكَ وَاللَّهِ! النَّازِلَةُ الْكُبْرَى وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى لَا مِثْلَهَا نَازِلَةٌ وَلَا بَائِقَةٌ عَاجِلَةٌ !

أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ – جَلَّ ثَنَاؤُهُ – فِي أَفْنِيَتِكُمْ وَفِي مَمْسَاكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ. يَهْتِفُ فِي أَفْنِيَتِكُمْ، هُتَافًا وَصُرَاخًا وَتِلَاوَةً وَأَلْحَاناً. وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ. (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ[آل‌عمران/١٤٤]).

أيهاً بَنِي قَيْلَةَ ! أَأُهْضَمُ تُرَاثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرْأًى مِنِّي وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدًى وَمَجْمَعٍ؟!

تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ وَتَشْمَلُكُمُ الْخَبْرَةُ وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ وَعِنْدَكُمُ السِّلَاحُ وَالْجُنَّةُ

YaseYasin.com

تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ؟! وَتَأْتِيكُمُ الصَّرخَةُ فَلَا تُغِيثُونَ؟! وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفَاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيرِ وَالصَّلَاحِ وَالنُّخْبَةُ الَّتِي انْتُخِبَتْ وَالْخِيرَةُ الَّتِي اخْتِيرَتْ لَنَا أَهْلِ الْبَيْتِ . قَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ وَنَاطَحْتُمُ الْأُمَمَ وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ لَا نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ؛

حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ وَخَضَعَتْ ثُغْرَةُ الشِّرْكِ وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ. فَأَنَّى حِرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ؟!

بُؤْساً لِقَوْمٍ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ (وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ توبه/١٣).

أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ وَنَجَوْتُمْ بِالضِّيقِ مِنَ السَّعَةِ فَمَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُمْ وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ. (فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ابراهيم/٨).

أَلَا ! وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خَامَرَتْكُمْ وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ. وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ وَنَفْثَةُ الْغَيظِ وَخَوَرُ الْقَنَاةِ وَبَثَّةُ الصَّدْرِ وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ . فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبِرَةَ الظَّهْرِ نَقِبَةَ الْخُفِّ بَاقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ الْجَبَّارِ وَشَنَارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنَارِ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ (الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ همزه/٧).

فَبِعَيْنِ اللَّهِ مَا تَفْعَلُونَ. (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ شعراء/٢٢٧). وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ (لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ سبأ/٤٦). فَاعْمَلُوا إِنَّا عَامِلُون (وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ هود/١٢٢).

۞۞۞

فَأَجَابَها أَبُوبَكْرٍ، عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُثْمانَ وَقَالَ:

يَا بِنْتَ رَسُولِاللَّهِ! لَقَدْ كَانَ أَبُوكِ بِالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيماً رَؤُوفًا رَحِيمًا وَعَلَى الْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً وَعِقَاباً عَظِيماً. إِنْ عَزَوْنَاهُ وَجَدْنَاهُ أَبَاكِ دُونَ النِّسَاءِ وَأَخَا إِلْفِكِ دُونَ الْأَخِلَّاءِ.آثَرَهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ وَسَاعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ. لَا يُحِبُّكُمْ إِلَّا سَعِيدٌ وَلَا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا شَقِيٌّ بَعِيدٌ. فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ الطَّيِّبُونَ الْخِيرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ .

YaseYasin.com

عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنَا وَ إِلَى الْجَنَّةِ مَسَالِكُنَا.

وَأَنْتِ يَا خِيرَةَ النِّسَاءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الْأَنبِيَاءِ! صَادِقَةٌ فِي قَوْلِكِ، سَابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ وَلَا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ. وَاللَّهِ ! مَا عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا عَمِلْتُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَالرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ. وَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنبِيَاءِ لَا نُورِّثُ ذَهَباً وَلَا فِضَّةً وَلَا دَارًا وَلَا عِقَارًا وَ إِنَّمَا نُورِّثُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَمَا كَانَ لَنَا مِنْ طُعْمَةٍ، فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنَا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ. وَقَدْ جَعَلْنَا مَا حَاوَلْتِهِ فِي الْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ، يُقَاتِلُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ وَيُجَالِدُونَ الْمَرَدَةَ الْفُجَّارَ. وَذَلِكَ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَنْفَرِدْ بِهِ وَحْدِي وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِمَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدِي. وَهَذِهِ حَالِي وَمَالِي! هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ لَا تُزْوَى عَنْكِ وَلَا نَدَّخِرُ دُونَكِ. وَ إِنَّكِ وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ. لَا نَدْفَعُ مَا لَكِ مِنْ فَضْلِكِ وَلَايُوضَعُ فِي فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ . حُكْمُكِ نَافِذٌ فِيمَا مَلَكَتْ يَدَايَ. فَهَلْ تَرِينَ أَنْ أُخَالِفَ فِي ذَاكَ أَبَاكِ؟

۞۞۞

فَقَالَتْ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا :

سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِفًا وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالِفًا بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ وَيَقْفُو سُوَرَهُ.

أَفَتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ اعْتِلَالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ؟! وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ! هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَكَماً عَدْلًا وَنَاطِقاً فَصْلًا؛ يَقُولُ: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَمريم/٦**). وَيَقُولُ: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ**نمل/١٦**). وَبَيَّنَ عَزَّ وَ جَلَّ فِيمَا وَزَّعَ مِنَ الْأَقْسَاطِ وَشَرَعَ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْمِيَرَاثِ وَأَبَاحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرَانِ وَالْإِنَاثِ، مَا أَزَاحَ بِهِ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ وَأَزَالَ التَّظَنِّي وَالشُّبُهَاتِ فِي الْغَابِرِينَ. كَلَّا (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ**يوسف/١٨**).**

۞۞۞

فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنتِ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ وَمَوْطِنُ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الْحُجَّةِ. لَا أُبْعِدُ صَوَابَكِ وَلَا أُنْكِرُ خِطَابَكِ. هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ، قَلَّدُونِي مَا تَقَلَّدْتُ

YaseYasin.com

وَبِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ مَا أَخَذْتُ، غَيْرَ مُكَابِرٍ وَلَا مُسْتَبِدٍّ وَلَا مُسْتَأْثِرٍ وَهُمْ بِذَلِكِ شُهُودٌ.

۞۞۞

فَالْتَفَتَتْ فَاطِمَةُ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا إِلَى النَّاسِ وَقَالَتْ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ! الْمُسْرِعَةَ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ الْمُغْضِيَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ! (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَامحمد/٢٤) ؟

كَلَّا، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ. وَلَبِئْسَ مَا تَأَوَّلْتُمْ وَسَاءَ مَا بِهِ أَشَرْتُمْ وَشَرَّ مَا مِنْهُ اغْتَصَبْتُمْ ! لَتَجِدُنَّ وَاللَّهِ! مَحْمِلَهُ ثَقِيلاً وَغِبَّهُ وَبِيلاً إِذَا كُشِفَ لَكُمُ الْغِطَاءُ وَبَانَ مَا وَرَائَهُ الضَّرَّاءُ وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ. (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَمؤمن/٧٨).

ثُم عَطَفَتْ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ وَقَالَتْ:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَثَةٌ

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ الْخَطْبُ

إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الأَرْضِ وَابِلَهَا

وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَلاَ تَغِبْ

وَكُلُّ أَهْلٍ لَهُ قُرْبَى وَمَنْزِلَةٌ

عِنْدَ الْإِلَهِ عَلَى الْأَدْنَيْنَ مُقْتَرِبٌ

أَبْدَتْ رِجَالٌ لَنَا نَجْوَى صُدُورِهِمْ

لَمَّا مَضَيْتَ وَحَالَتْ دُونَكَ التُّرُبُ

تَجَهَّمَتْنَا رِجَالٌ وَاسْتُخِفَّ بِنَا

لَمَّا فُقِدْتَ وَكُلُّ الْأَرْضِ مُغْتَصَبُ

وَكُنْتَ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ

عَلَيْكَ تَنْزِلُ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبُ

وَكَانَ جِبْرِيلُ بِالْآيَاتِ يُؤْنِسُنَا

YaseYasin.com

فَقَدْ فُقِدْتَ وَكُلُّ الْخَيْرِ مُحْتَجِبٌ

فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادَفَنَا

لَمَّا مَضَيْتَ وَحَالَتْ دُونَكَ الْكُثُبُ

إِنَّا رُزِئْنَا بِمَا لَمْ يُرْزَ ذُو شَجَنٍ

مِنَ الْبَرِيَّةِ لَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبٌ

کتاب الاحتجاج، احمد بن علی طبرسی، ج ۱، ص ۹۷ (چاپ مشهد، سال ۱۴۰۳ قمری)

YaseYasin.com